الملاحظات

إحدى أجمل كتابات حضرة بهاءالله التي نزلت بالآستانة هي "المثنوي". تعتبر تحفة رائعة من القصيد الفارسي، يلفت الانتباه جمالها وقوة تركيبها، كما اشتهرت بكونها من أكثر قصائده تحريكًا للروح. ما من قلم يستطيع وصف هذا الأثر العظيم وصفًا وافيًا حتى بلغته الأصلية. ذلك لأن كل بيت من أبياتها الثلاثمائة يعادل كتابًا بنفسه لعمق المعنى اللامحدود ولمغزاه العميق. فبقوة إعجازية يكشف قلم وحيه، كالبحر المتفجر من مخرج صغير، قدرًا يسيرًا من عظمة الله وقوته مانحًا بذلك لمحة من وحيه السماوي للبشرية. إن المعرفة التي يجود بها على ذوي الأفئدة الطاهرة، والأسرار التي يكشفها للمخلصين، والبصيرة التي ينيرها للطالبين، والحكمة التي يمنحها للحكماء، والنصائح والوصايا التي يسديها لأحبائه، كل ذلك يبرز في هذه المنظومة الإلهية كغايات يطمح الإنسان إليها ويأمل نيلها.

فقد كشف حضرته في هذه القصيدة، وفي إطار عالم محدود، أسرار ظهور ضخم لا نهاية له. وأظهر بعضًا من حقائق عالم الإنسان وأشار إلى كيفية بلوغه ذروة المجد والفضل. إن بعض الوصايا فيها جاءت على غرار تلك الواردة في "الكلمات المكنونة".

رمز حضرة بهاءالله إلى نفسه في القصيدة بشمس الحقيقة التي تسطع بأشعتها على كل المخلوقات. فمثل الشمس الظاهرة التي هي مصدر الحياة الأساسي لهذا الكوكب، كذلك فإن المظهر الكلي الإلهي هو مصدر الحياة الروحية لعموم البشر. فبما يبعثه من طاقات روحية في العالم الإنساني، يرتقي بنو أدم ويتطورون.

يصرح حضرة بهاءالله في أحد ألواحه بأن الهدف الأساسي للظهور الإلهي لا يختص فقط بتغيير الأحكام في المجتمع الإنساني أو بنشر المعرفة والعلم، بل الهدف حين الظهور هو هطول العنايات السماوية بحيث تصبح سائر المخلوقات محل نزول الفضل الإلهي وتكتسب قدرات جديدة.

في حين نزول "المثنوي" لم تكن طائفة البابيين قد عرفت بإعلان دعوة حضرة بهاءالله أو مغزاها بنحو تام. لذا يدعو حضرة بهاءالله نفسه في هذه القصيدة لكشف الحجبات كي تشرق شمس ظهوره بكل بهائها. كما يخاطب نفسه في موضع آخر ليلقي على هذا العالم الظلماني قدرًا من نوره، ويفتح أمام البشرية أبواب عرفان الله، ويمرر عليهم نسائم طيب رحمته عسى أن يستيقظ موتى الروح من قبور الجهل والغفلة.

في إشارة إلى انتشار نور أمره في عالم الغرب، يصرح حضرة بهاءالله ببيان لافت للانتباه. فيخاطب روح الله في أعماق نفسه ليكشف بهاءه حتى تشرق الشمس من

الغرب. في ألواح أخرى تنبأ حضرته بأنه حتى لو ظهر أمر الله في الشرق لكن سيظهر أثره في الغرب.[1]

يصف حضرة بهاءالله مجيئه في "المثنوي" بأنه مجيء يوم الله وحلول الربيع. يتردد هذا الموضوع في كثير من ألواحه. فكما يبعث فصل الربيع الطبيعي حياة جديدة في سائر المخلوقات في هذا العالم، فإن ظهور حضرة بهاءالله يملأ القلوب بمحبته فتظهر منها أنبل ثمار الفضائل والكمالات. إذ إن هذه الخصال السماوية التي تظهر في المؤمن لا تنبع من ذاته بالكامل. فلولا ضياء الشمس لكانت العين عضوًا لا فائدة فيه، والبذرة كائنًا عديم النفع. على هذه الشاكلة لولا مجئ المظاهر الإلهية لما استطاع إنسان التحلي بسجايا النبل والتقوى. فبهدى أنوار شموس الحقيقة هذه أرشدت البشرية تدريجًا من الظلمة إلى النور.

إحدى موضوعات "المثنوي" هي أن الإنسان نفسه مظهر من مظاهر أمر الله، وأن قوى الله وصفاته مودعة فيه، وأن نور الله ينعكس فيه، لكنه رغم ذلك محجوب عن هذه المواهب ويمضي ساعات حياته الثمينة غافلاً عما يكمن فيه من قوى نبيلة. يحذّر حضرة بهاءالله الإنسان بأنه ما لم يجهد الإنسان ليطهر قلبه فإن هذه السجايا والصفات لن تظهر فيه. في "الكلمات المكنونة" يصرح حضرة بهاءالله بلسان الله:

([1]) كانت نشأة الدين البهائي وتأسيسه في الغرب أمرًا يثير الانتباه. للمزيد من المعلومات راجع "كتاب القرن البديع"، ومجلدات العالم البهائي (باللغة الإنكليزية).

"يا ابن الوجود
مشكاتي أنت ومصباحي فيك فاستنر به ولا تفحّص عن غيري لأني خلقتك غنيًا وجعلت النعمة عليك بالغة."

من تعاليم حضرة بهاءالله في "المثنوي" أن الإنسان في هذا اليوم لن يتنور بنور الله ما لم يتزود ببصر جديد. إذ إن الأعين التي تنظر إلى أغراض هذه الدنيا لن تشاهد بهاء ظهوره، والآذان الموجهة لأصوات الأشرار لن تستمع لألحان الملكوت. يقصد بـ"الأعين الجديدة" و"الآذان الجديدة" الأعين والآذان الروحية. فهو يصرح بأنه من المخجل أن يُسمح لعين الروح (عين البصيرة الفطرية) وهي التي تستمد نورها من الله، بالنظر إلى الغريب، مؤكدًا بأن هدف الله من خلق البصيرة هذه هو أن يستعين بها الإنسان للتعرف على جمال المظهر الإلهي حين طلوعه عن أفق هذه الدنيا. بهذا الصدد يكشف حضرة بهاءالله في "الكلمات المكنونة" عن ذلك بقوله:

"يا ابن التراب
كن أعمى ترَ جمالي، وكن أصمَّ تسمع لحني وصوتي المليح، وكن جاهلاً يكن لك من علمي نصيب، وكن فقيرًا تغترف من بحر غنائي الخالد قدرًا لا زوال له، أي كن

أعمى عن مشاهدة غير جمالي وكن أصمَّ عن استماع كلام غيري، وكن جاهلاً بسوى علمي حتى تدخل ساحة قدسي بعينٍ طاهرةٍ وقلبٍ طيبٍ وأذنٍ نظيفة."

كما يؤكد في أحد ألواحه بأنه لو كان لبصير عين باتساع السماء ويتوجّه ببصره "**أقل عمّا يحصى**" إلى غيره -أي غير حضرة بهاءالله- فإن شخصًا كهذا لن يليق للورود إلى "بساط" محضره. يمكننا تقييم عبارة حضرة بهاءالله هذه إذا ما تدبرنا في شأن من يبتغي الاستنارة من شمعة والشمس مشرقة من أسمى أبراجها.

في لوح آخر يشرح حضرة بهاءالله بأن هذا اليوم هو يوم الله ولا يستحق ما سواه أن يُذكر. ثم يضيف بأن هذا يوم الأعين والآذان والأفئدة. لذا فإنه يدعو أحباءه للسعي والتزود بهذه المواهب الثلاث، مذكّرًا إياهم بأن "حجابًا رقيقًا" قد يمنع الأعين عن الإبصار والآذان عن الإصغاء والأفئدة عن الإدراك.

إن الحجبات التي تحول بين بصيرة الروح والمظهر الإلهي تنبع من عالم الإنسان. ففي عالمنا اليوم عدد غفير من الناس لا يمكنهم مشاهدة عظمة حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، لأنهم غلّفوا قلوبهم بحجبات عديدة. لعل أقساها حجاب التقليد. فالناس يولدون وسط تقليد ما ويجبلون على المضي فيه أُسراء مدى العمر. يسجل التاريخ بأنه كلما أظهر الله نفسه وأتى بمعايير وتعاليم جديدة للناس عارضه وقاومه أناس

من هؤلاء اقتدوا بآبائهم ورؤساء دينهم السابق وآخرين من قومهم. ولعل خير مثال على ذلك ما وقع عند مجيء السيد المسيح حيث لم يؤمن به حقًا سوى ثلة ضئيلة من أنفس معدودة، بينما رفض أمره الآخرون ممن عبدوا التقليد. إن من بين أهم تعاليم حضرة بهاءالله هو أن يبتعد الإنسان عن تقليد غيره في مسائل الاعتقاد والدين، بل ينبغي له تحري الحقيقة دون قيود ويفتح بصيرته علّه يشهد بنفسه بهاء دين الله الوليد في هذا اليوم.

حجاب آخر غليظ حال بين الناس واعترافهم بالمظهر الإلهي هو المعرفة. فالذين أوتوا شيئًا من العلم غالبًا ما يغترّوا به، أحيانًا دون وعي منهم، فيحجب ذلك بصائرهم عن الحقيقة. هذا واحد من "سبحات الجلال" -التي يشير إليها الإسلام ويذكرها حضرة بهاءالله في العديد من كتاباته بما فيها "كتاب الإيقان"- حيث تصبح إحدى صفات الله أو أسمائه الحسنى حجابًا ومانعًا.[2]

ولو أن اكتساب العلوم والمعارف أمر ممدوح ينبغي للإنسان ابتغاؤه وأن حضرة بهاءالله، مثل الرسول محمد (ص) من قبله، أمر أتباعه بتحصيله، لكنه يصبح من "سبحات الجلال" إذا ما قاد صاحبه إلى الغرور وتعظيم الذات.

([2]) انظر المجلد الأول، الصفحتين 45-46.

في أوائل أيام أمر الله، كان هناك رجل ثري صاحب معرفة في كاشان ذهب مع أسرته قاصدًا زيارة المقامات المقدسة في النجف وكربلاء. وقد أجبرته الظروف على اتخاذ أحد البابيين دليلاً وقائدًا للقافلة اسمه هاشم خان ليوصلهم ويعيدهم. إلاّ أنه تردد باستخدامه لا لشيء إلاّ لكونه بابيًا، وكان من أشهر سائقي القوافل وأوثقهم في المنطقة علاوة على كونه قوي البنية طويل القامة. مع أنه كان قليل العلم، إلاّ أن قلبه انشرح بنور أمر الله الناشئ. بذلك وُهب من الفهم الفطري ما مكّنه من تبليغ الناس وإقناعهم بطريقته البسيطة بأحقية الدين الذي آمن به. كان معروفًا باسم هاشم البابي. خلال الرحلة تجنب التاجر وعائلته ذلك المؤمن. فلم يرغبوا بمعاشرة من كان في نظرهم قد آمن بعقيدة ضالة. في رحلة طويلة كهذه كان لزامًا أن تتوقف القافلة مرتين أو ثلاثًا يوميًا للراحة وإطعام الدواب. في إحدى المناسبات خلال استراحتهم عزم التاجر على التحدث مع هاشم محاولاً هدايته وإعادته إلى حظيرة الإسلام. فناداه ليأتي ويجلس معهم. بعد تقديم شكره وثنائه على إخلاصه وحرصه في خدمتهم ورعايتهم في الطريق، شرع يحاوره متسائلاً: 'ترى كيف إني مع كل علمي لم أستطع أن أقتنع وأعترف بأحقية رسالة الباب في حين أنك تكاد تكون جاهلاً أميًا تدّعي اهتداءك واعترافك بها؟'

قبض هاشم بيده حفنة من الرمل وقال للتاجر: 'الناس من أمثالي لا شأن لهم في المجتمع. إنهم كرمال الصحراء بلا قيمة، لكن مع ذلك حينما تشرق الشمس في الصباح نجد أن أول من يستضئ بنورها هي هذه الرمال. أمّا الرجل المتعلم فمثله مثل

الجوهرة الثمينة، محفوظة في صندوق داخل غرفة مقفلة وإذا طلعت الشمس فإنها تبقى في الظلام.' كان لجوابه أثر عميق في نفس التاجر بحيث صار يتعلّم من هاشم باستمرار طوال الرحلة حتى عودتهم، مما أدى إلى زوال الحجبات واستنارة جوهرة قلبه بنور الإيمان بأمر الله الجديد. إن جواب هاشم على بساطته فيه معنى عميق جدًا. إذ بينما يقرّ بمقام العلم ورفعته، يبرهن على ضرورة توجّه أهل العلوم لشمس الحقيقة عند ظهورها في العالم ثم الاجتهاد من أجل فتح قلوبهم وأرواحهم لسطوع أنوارها عليهم واستنارتهم بها.

من الحجبات الأخرى التي تمنع الناس من الإقبال على دين الله الجديد هي التعصبات بمختلف أنواعها، المادية والثروة والنفوذ وغيرها كثير مما أصاب المجتمع الإنساني في هذا العصر وهوى به في ظلام وحرمان تامّين.

الانقطاع

يشير حضرة بهاءالله في "المثنوي" إلى قوة ظهوره مؤكدًا أن به يستطيع الإنسان العروج إلى أعلى ذرى الفضائل والروحانية. فيدعو أحباءه إلى السعي لبلوغ هذا المقام بالتوجّه إليه بقلوب طاهرة مخلصة، ثم بالانقطاع عن الشؤونات الدنيوية. يصرح حضرة بهاءالله في العديد من ألواحه بأن من أعظم مكتسبات الإنسان هو الانقطاع عما سوى

الله. والروح لديها الاستعداد للإيمان ثم التقرب إلى الله على قدر يتناسب مع انقطاعها عن الدنيا. لكن غالبًا ما يساء فهم الانقطاع الذي يخلط بالعزلة والابتعاد عن الدنيا. فهناك عدة مذاهب وطوائف من الناس ممن يميلون لحياة التنسك والرهبنة في الأديرة وما شابهها من المؤسسات ظانّين أن ذلك المسلك سيرفع مقامهم الروحاني. لكن تعاليم حضرة بهاءالله ضد ذلك قطعًا. مثال ذلك ما خاطب به الرهبان في اللوح الثاني الذي وجّهه حضرة بهاءالله إلى ناپليون الثالث:

"قل يا ملأ الرهبان لا تعتكفوا في الكنائس والمعابد. أن اخرجوا بإذني ثم اشتغلوا بما تنتفع به أنفسكم وأنفس العباد كذلك يأمركم مالك يوم الدين. أن اعتكفوا في حصن حبي هذا حق الاعتكاف لو أنتم من العارفين. من جاور البيت إنه كالميت ينبغي للإنسان أن يظهر منه ما ينتفع به الأكوان، والذي ليس له ثمر ينبغي للنار."

يمكن للإنسان أن يمتلك كل طيبات الدنيا، ويعيش في رفاه وترف ومع ذلك يكون منقطعًا عن الدنيويات.[3] فقد خلق الله هذا العالم وكل ما فيه ليستعمله البشر ويتمتعوا به، شرط أن يحيا الإنسان حياة تتفق وتعاليم الله وأحكامه.

([3]) انظر المجلد الأول، الصفحات 77-80.

يذكر حضرة بهاءالله في أحد ألواحه بأن هذا العالم زاخر بعطايا الله المادية، وأن كل ما هو حسن وطيب من المخلوقات والأشياء إنما يحكي عن صفاته أو يعكسها وأن امتلاك هذه العطايا الإلهية ليس بحد ذاته تعلق بالدنيا. لكنه يحذّر في الوقت نفسه من الانغماس والتعلق بالدنيا إذ إن كل ما يتصل بها مؤقت وعابر وعلى الإنسان ألاّ يسمح لنفسه بأن يكون مملوكًا لها. ثم يشرح حضرة بهاءالله في اللوح نفسه معنى التعلق بالدنيا على أنه تعلق بمن أنكره وأعرض عن أمره. وفي لوح آخر يصرح حضرته بأن هناك ثلاثة موانع تحول بين الله والإنسان. فيوصي المؤمنين باجتيازها عسى أن يحظوا بمحضره. أولها ما بحثناه توًا، وهو التعلق بهذه الدنيا الفانية. ثانيها التعلق بالعالم الآخر وما قدّر للإنسان فيه. والثالث هو التعلق بـ"ملكوت الأسماء".

من أجل فهم مغزى المانع الثاني علينا أن نتذكر بأن الهدف من الحياة هو عرفان الله وعبادته. في حديث إسلامي نجد هذا التصريح (بلسان الله): 'كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق كي أُعرف.' وقد توفّق الإنسان، بالجهد والفطرة الروحية، إلى أن يعلم بوجود الله. توفّق بما منحه بارئه من القوى والسجايا من جهة، وبما استنار به من فيض المظاهر الإلهية من جهة أخرى، بأن يعرف خالقه[4] ويعبده. يصرح حضرة بهاءالله في "الكلمات المكنونة":

([4]) لمّا كانت معرفة ذات الله أمرًا محالًا، فالإنسان يصل لمعرفته بمعرفة المظهر الإلهي. انظر المجلد الأول، الصفحات 185-187.

"يا ابن الإنسان
أحببت خلقك فخلقتك، فاحببني كي أذكرك وفي روح الحياة أثبّتك."

وفي الصلاة الصغيرة التي أنزلها حضرة بهاءالله ليتلوها أتباعه نقرأ: **"أشهد يا إلهي بأنك خلقتني لعرفانك وعبادتك**[5]..."

هذا إذًا هو هدف الخلق. أمّا أعمال الإنسان فتكون ممدوحة بنظر الله إذا كانت محبة الله وحدها دافعها دون سبب آخر. يشهد بذلك حضرة بهاءالله في "الكتاب الأقدس": **"أن اعملوا حدودي حبًا لجمالي."** حتى إذا كان الدافع لأعمال شخص طمعه بثواب الآخرة فإن ذلك يعتبر تعلقًا. فالانقطاع معناه أداء العمل خالصًا لوجه الله دون ابتغاء أجر أو ثواب عليه.

فأي فرق ما بين هذا الموقف وذاك السائد في مجتمع البشر في وقتنا الراهن، حيث كل عمل تقريبًا يستهدف منه منافع لصاحبه. لقد طغت نظرة النفعية والمصالح الذاتية على تفكير الإنسان في هذا اليوم بحيث نجده حتى في مسائل الروحانيات، كالإيمان بالله والاعتقاد به، غالبًا ما يبحث عن شيء يرضي حاجاته الخاصة بالدرجة الأولى. هناك كثير من الناس اليوم ينتمون لدين أو آخر أملاً بإشباع احتياج روحي أو انتفاع آخر

([5]) عبادة الله لا تنحصر بالصلاة والضراعة فقط، فقد رفع حضرة بهاءالله العمل الخالص لخدمة البشر إلى مقام العبادة لله.

مثل هدوء البال أو الخلاص. إلاّ أن هذا ليس بدافع صحيح لاعتناق الدين. لأن قواعد صرح كل دين يجب أن تُبنى على المحبة. فالمحب الصادق ليس له أغراض أو مصلحة أنانية تدفعه سوى هيامه بمحبوبه. كذلك الأمر يجب أن تكون العلاقة بين الإنسان والمظهر الإلهي حيث أن واجب كل شخص أن يعترف بالمظهر الإلهي ويحبه ثم يتبعه، إذ ما من أحد في العالم يستحق التعظيم والإجلال والحمد والتبجيل سواه.

إن الإنسان مخلوق أناني بسبب طبيعته الحيوانية. بدافع غريزة البقاء يسعى من أجل حصوله على الغذاء والكساء وغيره من ضروريات الحياة. بعد ذلك يسعى لضمان الأمن، فالثروة والسلطة وغير ذلك من المطامح. كل هذه إضافة إلى اهتماماته الفكرية والعاطفية والروحية، تدور حول محور ذاته وشخصه، وتستهدف ضمان راحته ورفاهيته وسعادته. بل هو يبحث دومًا عن أشياء يضيفها لمقتنياته طالما يمكنه استخلاص فائدة ما منها.

حينما يتعرف الإنسان على أمر الله ويعترف بعظمته فإنه يميل تلقائيًا للاحتفاظ به، كما هي العادة، مع نفائسه الأخرى. أي أنه يضع دينه بمصاف اهتماماته الأخرى، متوقعًا بدافع أناني الانتفاع منه كما ينتفع من ممتلكاته الأخرى تمامًا. فهو ينتظر من دين الله أن يخدمه ويجلب له الفرح والرضى. إن هذا المفهوم وهذه الممارسة هما التعلق بالدنيا وضد سنّة الخليقة. ذلك لأن الله لم يظهر أمره من أجل إرضاء أو تلبية

مصالح الإنسان الأنانية. بل ينبغي عكس ذلك، بحيث يُنتظر من الإنسان أن يرتّب حياته بكيفية تخدم أمر الله وتطوف حوله. فلو اتّبع المرء أمر الله بخلوص ونية طاهرة، فإن حياته ستبارَك بحيث تظهر آيات قوى الله وصفاته في باطن وجوده. أمّا إذا ابتغى تلك الكمالات من أجل إشباع هوى النفس، فهذه النية ستكون سببًا لحرمانه من فيوضات الفضل والعطايا الإلهية.

فالذين عرفوا حقًا مقام حضرة بهاءالله في هذا اليوم، ووُهبوا عطية الإدراك الحقيقي، إنهم لم يؤمنوا بدين حضرته بسبب اكتشافهم أن الإيمان يدخل عليهم السعادة، ويحل مشاكلهم الشخصية، ويرفع عنهم مصائبهم ويزيد حياتهم الروحية ثراء، بل لأنهم أقروا وأيقنوا أن حضرة بهاءالله هو المظهر الإلهي لهذا العصر فانجذبوا إليه كانجذاب الحديد إلى المغناطيس. بنظرهم إلى بهاء ظهوره انبهرت أعينهم، وبقوة كلمته شُدت أفئدتهم. فهم يعرفون سمو أمر الله الذي جاء به فوق كل الوجود وبأن خدمته علة خلق الإنسان. وهذا وحده فقط، ينبغي أن يكون الدافع لكل إيمان حقيقي بأمر الله.

عندما يتوجّه المؤمن بمحبة خالصة للمظهر الإلهي، فلا يسعه إلاّ نسيان مصالحه الشخصية وأهوائه ابتغاء مرضاة مولاه. في أثناء ذلك وكنتيجة لتوجّهه ذاك وحبه وخضوعه للمظهر الإلهي تنزل عليه نعم الفضائل والقوى السماوية. بل يمكن حقًا أن يقال بأن الفئة الوحيدة من الناس ممن يعرفون طعم السعادة الحقيقية

في الحياة ولديهم أوفر حظ من الفضائل السماوية هم الذين أقبلوا خالصين واتّبعوا المظهر الإلهي منقطعين عن أجر الدنيا وثواب الآخرة.

من علماء أمر الله العظام ميرزا عزيز الله مصباح الذي ساهم بحياته وعلمه في إضفاء ومضات خالدة على صفحات تاريخ أمر الله خلال ولايتي حضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي. بين مجموعة المناجاة الفريدة التي جمعها، هذه العبارة القصيرة ذات المعنى العميق:

من يبتغي أجرًا لأعماله تُكتب له الجنة، ومن يبتغي الله لا حاجة له بالجنة.

المانع الثالث الذي يذكره حضرة بهاءالله هو التعلق بـ"ملكوت الأسماء". في آثار قلمه هناك عدة إشارات لهذا الملكوت. مثلاً في أحد ألواحه يصرح حضرته:

"ينادي القلم الأعلى في **كل حين** ولكن أهل السمع قليلون. إن أهل ملكوت الأسماء منشغلون بألوان الدنيا المختلفة مع أن كل **ذي بصر** وذي سمع يشهد بفنائها."

إن الله في جوهره منزّه عن الأوصاف، إلاّ أنه يظهر صفاته في سائر عوالم ملكه وملكوته، الروحية والمادية. فكل كائن في الوجود يظهر صفات الله وأسماءه. لكن في عوالم الروح توجد هذه الصفات على نحو من الكثافة والقوة بحيث لن يقدر الإنسان أن يدركها في هذه الحياة. إلاّ أنه في حيز عالم الإنسان تظهر هذه الصفات داخل "ملكوت الأسماء" والإنسان غالبًا ما يتعلق بهذه الأسماء.

في "لوح نصير"[6]، ينطق حضرة بهاءالله بصوت الحق، بأن اسمًا من أسمائه التي خلقها بكلمة من عنده ونفخ فيها حياة جديدة، قد قام ضده معترضًا على سلطانه. ويشهد أن بسبب التعلق بهذا الاسم أنكر بعض أهل "البيان" أمره وحرموا أنفسهم من بهائه. هنا يشير حضرته تلميحًا لاسم "أزل"[7] وهو لقب ميرزا يحيى. حقًا أصبح هذا الاسم، وهو من صفات الله، مانعًا للعديد ممن اتبعوه تعلقًا أعمى بمقام سام. وقد ضل ميرزا يحيى نفسه بهذا الاسم. فبجّل مزايا ذلك الاسم وبقي متعلقًا به حتى نهاية حياته.

يوصي حضرة بهاءالله أتباعه في كثير من ألواحه ألاّ يكونوا عبدة "ملكوت الأسماء". وللحديث الإسلامي المشهور، "إنما الأسماء تنزل من السماء"، مغزى متعدد الأبعاد. ففي هذا العالم كل صفة من صفات الله تتقمص اسمًا، وكل اسم منها يظهر مميزات صفته. مثلاً صفة الكرم من صفات الله وتظهر نفسها لدى بني البشر. لكن الذي يتحلى

([6]) انظر الصفحات 241-243.

([7]) "الأزل" من صفات الله. وقد مُنح هذا اللقب لميرزا يحيى الذي عُرف بـ"صبح الأزل".

بهذه الصفة غالبًا ما يصبح مغرورًا بها ويحب أن يُعرف أو يشار إليه بها، بحيث إن اعترف الناس بكرمه سُر وانشرح، وإن لم يعترفوا حزن وتأثر. هذا واحد من أشكال التعلق بـ"ملكوت الأسماء". ولو أن هذا المثال يخص اسم "الكرم"، لكنه ينطبق على سائر أسماء الله وصفاته التي تظهر في الفرد. في العادة ينسب الشخص هذه الصفات لنفسه هو دون الله ويستغلها إعلاءً لأنانيته. فمثلاً نجد شخصًا يستعمل صفة المعرفة ليصبح مشهورًا ويشعر بزهو وفخر لرؤية اسمه وقد شاع في كل مكان. أو المرء الذي يخفق قلبه بمشاعر الرضى والغرور لدى سماع ذكر اسمه فيجد نفسه ممدوحًا وموضع إعجاب الآخرين. هذه نماذج لمن تعلقت نفوسهم بهوى "ملكوت الأسماء".

يفرض مجتمعنا في الوقت الحاضر نفوذًا ضارًا على نفس الإنسان. فبدلاً من أن يدعه يحيا حياة خدمة وتضحية للآخرين، نجده يحض الفرد على الاغترار بما اكتسب وأنجز. بل منذ الطفولة يتعلم الفرد ويُلقَّن تنمية أنانيته والسعي للتفوق والاستعلاء على الآخرين. هدفه الرئيس في الحياة نيل النجاح واكتساب القوة والاهتمام بالذات.

يستهدف ظهور حضرة بهاءالله قلب هذه المفاهيم وعكسها. فالنفس البشرية بحاجة لأن تُصقل وتُزيّن بفضائل التواضع ونكران الذات حتى تنقطع عن "ملكوت الأسماء".

لقد برهن حضرة عبدالبهاء، وهو المثل الأعلى الحقيقي لتعاليم حضرة بهاءالله، على هذا المستوى من الانقطاع بأعماله وأفعاله. فطوال حياته لم يبتغ إعلاء اسمه ولم يسعَ لإشهار نفسه. مثال ذلك أنه كان لا يحب أن تؤخذ له صورة فوتوغرافية. تفضل في هذا الشأن قائلاً: "... أن يصوّر الإنسان نفسه يعني التأكيد على شخصيته..." وفعلاً رفض السماح بالتقاط صور له خلال الأيام القليلة الأولى لزيارته للندن. لكنه نتيجة لإلحاح مراسلي الصحف، والتوسلات من الأحباء وافق على تصويره حتى يسعدهم.

لعل خير ما يدل ويشير إلى مقام حضرة عبدالبهاء السامي هو الألقاب الرفيعة التي أغدقها عليه حضرة بهاءالله. مع ذلك فهو لم يستغلها لشخصه. بل بدلاً من ذلك اختار لنفسه بعد صعود حضرة بهاءالله لقب عبدالبهاء وطلب من المؤمنين ألاّ يدعوه إلاّ بهذا الاسم. ذلك لأن العبودية الحقة لدى عتبة حضرة بهاءالله كانت منتهى أمانيه. وفيما يلي بعض كلماته التي وصف بها حقيقة مقامه في محوية ذاته البحتة:

"أمّا اسمي فهو عبدالبهاء، وكينونتي عبدالبهاء، وحقيقتي عبدالبهاء، وفخري عبدالبهاء، والعبودية لحضرة الجمال المبارك هي فخري وتاجي، وعبوديتي لجميع الجنس البشري هي ديني... ليس لي، ولن يكون لي اسم ولا نعت ولا ذكر ولا وصف غير عبدالبهاء. هذا أملي، وهذا غاية رجائي، وهذا حياتي، وهذا فخري الأبدي."

من الملامح المميزة لنظام حضرة بهاءالله العالمي الجنيني هو خلوّه من الشخصيات الأنانية المتنفذة في شؤونه ومصيره. فقد منح حضرته السلطة لمؤسسات نظمه، سواء كانت المحلية منها أو المركزية أو القطرية أو العالمية. لكن الفرد العضو فيها لا سلطة له. وخلافًا لما عليه أهل السلطة في عالم اليوم ممن ينشدون الشهرة والشعبية، فإن أعضاء المؤسسات البهائية لا يسعهم إلاّ إظهار التواضع ونكران الذات إن كانوا مخلصين لحضرة بهاءالله. أمّا أولئك القاصرين، بسبب قلة النضج أو الإيمان، عن بلوغ هذه المستويات فهم حقا ضحايا التعلق بـ"ملكوت الأسماء" وهم محرومون من عطايا الله في هذا العصر.

قد تكون أعسر مهمة للبهائي أن يحرر نفسه من علائق "ملكوت الأسماء"، وقد يدوم صراعه معها طوال العمر. فقط لو يدرك الإنسان بأن ما لديه من فضائل لا يرجع لذاته تلقائيًا، بل إنها مظاهر صفات الله، لتحرر من "ملكوت الأسماء" وأصبح متواضعًا حقًا. إن شخصًا كهذا سيهب الكمالات السماوية لعالم الإنسان. وهذه أعلى رتبة ومقام قدرهما الله للإنسان

وصل بعض أتباع حضرة بهاءالله إلى هذه الرتبة بعدما وعوا واعتبروا بأن شرف فضائلهم إنما يأتي من عوالم الله وليس من أنفسهم. كان النبيل الأكبر[8] واحدًا منهم، والذي قد يُعتبر من أعلم حواريي حضرة بهاءالله. لقد وصف الحاج ميرزا حيدر علي لقاء له في قزوين حيث كان هذا الرجل العظيم يتحدث مع بعض المؤمنين. فيما يلي بعض كلماته بخصوص النبيل الأكبر:

ما أوفر حظي بسماع بيان ذلك السيد الفاضل بحيث اقتطفت من كلماته في مجالس كثيرة في عديد من المناسبات. من جوانب عظمة هذا الفاضل كانت قدرته التي لا تضاهى في تبيان أي موضوع أو مسألة. **مثلاً** لو قال بأن الماء حار وجاف وأن النار باردة ورطبة، لما تمكن أحد أن يقاومه أو أن يثبت عكس ذلك. **ومع ذلك** فقد لاحظت وقت تلاطم بحر بيانه وحرارة خطابه أنه لم يكن قط ليذكر كلمة في غير موضعها أو يخوض في رأي غير صحيح، وإن ذكّره شخص بخطأ أو تنبّه إليه بنفسه، فإنه كان يظهر غفلته واشتباه الأمر عليه.

ومن الملاحظات المحكمة المتينة لذلك الشخص أن الإنسان بطبيعته عاجز جاهل ضعيف حقير كثير الخطأ، بينما القوة والقدرة والعلم والحكمة والغلبة والفضيلة والطيبة هي كلها من عند الحق، **سبحانه وتعالى**. **لذلك** على الإنسان في

([8]) انظر المجلد الأول، الصفحات 95-100.

كل الأحوال أن يعتبر نفسه خاطئًا جاهلاً **أسير** النفس والهوى. فلا ينبغي له الشعور بالهمّ أو الألم إذا ما وصمه الناس بهذه العيوب التي هي في الواقع متأصلة فيه. بل على العكس ينبغي له أن يكون ممنونًا وشاكرًا ومسرورًا، ولكن في نفس الوقت يجب أن يشعر بعدم الرضى عن نفسه، وأن يطلب من الله أن يحميه من نفسه الأمّارة وميوله الطبيعية الدنيا.

إن نفوسًا كهذه كانت بالفعل منقطعة حقًا عن "ملكوت الأسماء". وليس من شك أنهم ممن كان حضرة بهاءالله يعنيهم عندما كتب:

"يا شيخ إن هذا الحزب قد اجتاز خليج الأسماء ونصب سرادقه على **شاطئ بحر** الانقطاع. يفدون بمائة ألف روح ولا يتكلمون **بما أراده الأعداء**. متمسكون **بإرادة الله** ونابذون لما **عند القوم**. ضحّوا برؤوسهم وما تفوهوا بكلمة غير **لائقة**."

تدعم تعاليم حضرة بهاءالله أفكار النبيل الأكبر دعمًا كاملاً. يكفي الاستدلال بالأدعية والمناجاة العديدة النازلة من قلم حضرته حيث تزخر بفقرات يعترف فيها الإنسان بعجزه وجهله وفقره، وجبروت الله وحكمته وسلطانه.

حجاب النفس

في "المثنوي" فقرات يوصي فيها حضرة بهاءالله الإنسان بخرق كل حجاب يحول بينه وبين الله. حينئذ فقط يستطيع مشاهدة جمال ربه وبهائه. والنفس إحدى هذه الحجبات. لأجل ذلك يدعو حضرته المرء لإيقاد نار في باطن نفسه لحرق كل أثر للنفس بحيث يختفي تمامًا مفهوم، بل وحتى لفظ "أنا" من وجوده. حقًا إن هذا واحد من أكثر تعاليم حضرته عمقًا. فالشخص الذي يسعى لإعلاء شأن نفسه والتبختر باسمه ويطمح لشهرته إنما يتصرف ضد مخطط الخليقة. مثل هذا الفرد يعرقل سريان عطايا الله إليه. قد يعتبر في الظاهر شخصًا أصاب كل النجاح في حياته، لكنه في الحقيقة أخفق بتحقيق الهدف الذي خلق من أجله. لأنه حينما يصل المرء للعظمة الحقيقية حينئذ يعترف بعجزه وعدم استحقاقه وضعفه. كما أنه يكتشف جهله عندما يصبح عالمًا حقًا. عندئذ تنعكس في باطنه صفات الله ويكون بوسعه منحها لغيره.

نجد بين تأملات عزيز الله مصباح العبارات التالية التي تتمثل فيها حياته الخاصة -حياة الانقطاع ونكران الذات:

أن يعرض الإنسان عن حب ذاته ويزيل كل أثر لأنانيته، فذاك برهان على إدراكه معنى الوجود والغاية من الحياة.

إن الفرق بين المعرفة الحقيقية والتعلم المدرسي هو أن الأول يمنح النفس التواضع والوداعة، والآخر يدفع بِنَهَمٍ لا يمكن إشباعه لابتغاء المجد والتعالي.

من بين أبرز الذين وصلوا إلى مقام العرفان الحقيقي كان ميرزا أبو الفضل، العلاّمة البهائي العظيم وأحد حواريي[9] حضرة بهاءالله. اشتهر بعلمه الواسع ليس بين أفراد الجامعة البهائية فقط بل في الشرق عمومًا. كان حجّة معترفًا به في عدة مواضيع بينها التاريخ والفلسفة الإلهية، كما كان أستاذًا بارزًا في كل من الأدب العربي والفارسي. عُرِّف ذات مرة في الأوساط العلمية بمصر بأنه "سيد القلم، وعمدة التاريخ وحجر زاوية العلم والفضل."

فيما يلي فقرة من مذكرات الدكتور حبيب مؤيد الذي عرف ميرزا أبو الفضل شخصيًا وكتب كثيرًا عن عظمته في تلك المذكرات:

سُئل مرة (أبو الفضل) عن كيفية حصوله على ذلك العلم والدراية الواسعة وكيف أصبح محط هذا العلم الموهوب من الله. فأجاب السائلين وقد بدت عليه علامات عدم الارتياح والغضب: 'من هو أبو الفضل؟ ما هو أبو الفضل؟ ما أنا إلاّ قطرة من المحيط الواسع لمدرسة حضرة بهاءالله. لو تدخلون أنتم أيضًا في هذه المدرسة،

([9]) يحتوي المجلد الثالث من الكتاب على معلومات أوفى عنه.

ستصبحون أستاذ أبو الفضل. إن كنتم لا تصدقوني اذهبوا إلى گلپايگان[10] وتعرّفوا على أقاربي فيها وعندئذ سوف تفهمون.'

من القصة التالية يمكننا أن نحصل على لمحة من عظمته. في أوائل سنيّ هذا القرن كان حضرة عبدالبهاء قد أرسل ميرزا أبو الفضل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتعميق أحباء الله المؤمنين بالأمر الإلهي. وعند عودته جلس هو والمؤمنون الزائرون الأمريكيون في محضر حضرة عبدالبهاء في عكاء، وبادر الزوار بالثناء على أبو الفضل لما قدّم لهم بأمريكا من عون مشيرين إلى أنه بلّغ أمر الله لعدة نفوس، ودافع عنه بكل كفاءة ضد خصومه وساعد في بناء جامعة بهائية قوية. ثم لمّا زادوا في إطرائهم واستمروا بالحديث عنه، ازداد ميرزا أبو الفضل غمًّا واكتئابًا، حتى انفجرت دموع عينيه وراح يبكي بصوت عال. فعجب المؤمنون الحاضرون واندهشوا دون أن يفهموا سبب ذلك، حتى ظنوا بأنهم لم يفوا بما يستحقه من إطراء!

بعدئذ بيّن حضرة عبدالبهاء بأنهم بمديحهم إياه قد سببوا له ألمًا مريرًا، إذ اعتبر أبو الفضل نفسه عدمًا صرفًا في أمر الله معتقدًا بكل خلوص بأنه لا يستحق أي ذكر أو ثناء.[11]

([10]) مسقط رأس أبو الفضل، حيث كان يعيش أقرباؤه. (أ. ط.)

([11]) توصّل المؤلف لهذه الرواية لصاحبها السيد هارلن ف. أوبر بواسطة أيادي أمر الله السيد جون روبرتس.

حقًا إن للبهائيين في ميرزا أبو الفضل أسوة حسنة يقتدون بها، إذ إنه طوال حياته كبهائي تجنّب إطلاقًا استعمال ضمير المتكلم "أنا" من أجل أن ينسب افتخارًا لنفسه.

الشجاعة والتضحية

يبين حضرة بهاءالله في "المثنوي" عظمة أمره ويفصح بلغة فريدة عن شوق أنبياء الله ورسله للقائه والفوز بفيض ظهوره. ثم يثني على عشاق جماله الذين سرعوا بفداء حياتهم في سبيل الله، موصيًا إياهم بالثبات والاستقامة في ميدان الاستشهاد.

إن الذين عرفوا حقًا مقام حضرة بهاءالله ارتضوا بالاضطهاد والشدائد حبًا له. كانوا على علم بأن في إقبالهم إلى أمر الله خطر على حياتهم. بل في الواقع كانوا لا يضمنون سلامة عودتهم إذا خرجوا من منازلهم. ذلك لأن الأعداء كانوا دومًا متأهبين للانقضاض على كل من عُرِف بانتمائه للدين الوليد. لذا فإن الذين آمنوا بحضرة الباب وحضرة بهاءالله في أوائل أيام الظهور أدركوا بجلاء أنهم معرّضون في أي وقت للاستشهاد في سبيل الله. كان ذلك محكًا وامتحانًا لإيمانهم وقد بقيت الأغلبية العظمى منهم ثابتة راسخة حتى النهاية.

والوصف التالي لمشهد استشهاد أحد المؤمنين الأوائل، يبرهن على هذا الإيمان:

هذا هو أحد الذين فدوا حياتهم بنحو مؤثر بحيث بكى عليه الكثير ممن كانوا بين الجمهور الحاشد الذي حضر للميدان للسخرية من الضحية والتفكّه عليه قبل استشهاده. بل حتى قلوب الجلادين القساة الذين كلفوا باقتراف ذاك العمل الشنيع قد تأثّرت تأثرًا بالغًا.

كان البطل اللامع الذي ظهر في ذلك المشهد المأساوي علي أكبر الحكّاك، وهو شاب جذاب وسيم من مدينة يزد بإيران. كان نقّاشًا ماهرًا في حرفته، متزوجًا وله ولد في الرابعة من العمر اسمه حبيب الله. حالما وصلت يزد أنباء ملحمة نيريز هرع علي أكبر على الفور قاصدًا زيارة الموقع حيث حارب وسقط "وحيد" الشهير الذي لا يدانى مع عصبته من المجاهدين الأبطال. ولدى عودته إلى يزد ظهر عليه من السرور الروحي والحماس الجارف في تبليغ أمر الله ما أثار اعتراض الأعداء وحنقهم واستنكارهم فوصموه بأنه "بابي" وقبض الحاكم الجائر عليه بتهمة الكفر وأرسل تقريرًا إلى طهران طالبًا التعليمات بخصوصه.

ومرّ شهران تقريبًا دون وصول أية أنباء من طهران. فغُرّم السجين مبلغًا من المال وأطلق سراحه شرط أن يضع نفسه فورًا تحت تصرّف الحاكم لدى وصول القرار بشأنه.

ودون أن يعير المصير الوخيم الذي ينتظره أي اهتمام، انصرف علي أكبر إلى مزاولة عمله بروح من التسليم التام، إلى أن وردت رسالة من طهران بعد مرور ثلاثة أشهر تقضي بقتل كل من ينتمي إلى الدين البابي فورًا. وقد منح ذلك القرارُ الشائن الحاكمَ سلطات مطلقة لتنفيذ مآربه. وعليه قام مبكرًا في صباح يوم ١٥ تموز عام ١٨٥٢م بإرسال رجاله للقبض على علي أكبر في منزله. وجيء به إلى مكتب الحاكم في الثكنات حيث جرى استجوابه.

ومع أن أهالي يزد عُرفوا بتعصبهم المتغلغل في أعماقهم ضد الدين الجديد واستعدادهم لأن يهبّوا ثائرين لمجرد رؤية شخص قد تميّز بأنه "بابي"، لكنهم رغم ذلك كانوا معجبين بعلي أكبر لما تحلّى به من مكارم الأخلاق النادرة وسحر المعشر. إضافة لذلك فإن شهرته كأحسن نقّاش قد حبّبته إلى قلوب كل من عرفه. حتى الحاكم والموظفون كانوا مترددين في تنفيذ إعدامه. فعملوا كل ما بوسعهم لإقناعه بإنكار عقيدته ولو شفويًا ليخلّص نفسه من الموت. ورغم كل ما اتّبعوه من وسائل الإقناع والتهديد والوعود فلم يستطع أحد أن يحمل هذا البطل الشجاع على الإنكار، أو كل أبهة الحاكم الجائر أو عزه أن يؤثر في هذا المؤمن رابط الجأش لكي يتخلى عن إيمانه ويشتري حياة زائلة. أثار ذلك غضب الحاكم إذ لم يحتمل أن يجد من يجرؤ على تحدي سلطته مصرًا على رأيه.

استبد بالحاكم الغضب بحيث استدعى القهرمان (فراش باشي-رئيس الشرطة) وأمره بتنفيذ إعدام هذا البابي العنيد بربطه إلى فوهة المدفع فورًا وإطلاقه، فأحيل الأمر حالاً إلى فرقة المدفعية وأخرجوا مدفعًا من الثكنات ونصبوه في الساحة العامة المجاورة. بعدها قاد القهرمان سجينه علي أكبر مصحوبًا بالجلاد إلى الساحة التي تجمّع فيها جمهور النظارة.

كل هذا والقهرمان لا زال يحاول ابتكار أحذق السبل لترهيب السجين وترغيبه أملاً بالعدول عن إصراره وبمحاولة يائسة لتحطيم روحه المعنوية وجعله يتخلى عن ولائه للدين الجديد.

كان المدفع الذي تقرر إطلاقه من طراز قديم يُعبأ من فوهته، وإذ كان القهرمان يعلم أن المدفع لم يُعبأ بعد، خطرت بباله فكرة تمثيل إعدام وهمي آملاً أن يتزعزع السجين تحت تأثير الرعب الذي يثيره مثل ذلك الموقف الرهيب عادة. فصاح بنبرة حادة ونظرة جادة آمرًا الجلاد أن يسرع بربط السجين وشدّه إلى فوهة المدفع وإطلاقه دون توان. وهكذا تم ربط علي أكبر إلى المدفع وترك في ذلك الوضع المخيف لفترة طويلة من الوقت بينما تظاهر طاقم المدفع من الجنود بحركات توحي بإعداده للإطلاق في أية لحظة.

في أثناء ذلك راح القهرمان يرقب علي أكبر عن كثب ويحثه على الإنكار. إلاّ أنه دهش عندما اكتشف عكس ما كان يأمل إذ إن علي أكبر لم يهتز ويرتعش خوفًا بل ظل ملازمًا هدوءه وثباته طوال الوقت. أدرك عندها بأن وسائل التخويف لم تجد نفعًا. فتوجّه نحو الجلاد طالبًا إيقاف عملية الإطلاق الوهمية ثم إطلاق سراح الضحية.

وفي ذلك الوقت (قرب الحادية عشرة قبل الظهر) امتلأ الميدان بجمهور حاشد من المتفرجين المترقبين بتبلّد وحيرة.

حالما فُكّ وثاق علي أكبر تقدّم إليه القهرمان معبّرًا له عن مشاعر المواساة بشيء من الخلق الطيب. ثم اصطحبه إلى غرفة عمومية مجاورة وأجلسه إلى جواره فوق منصة صغيرة. عاد مجددًا يحثه بكل جدية على إنكار عقيدته وإنقاذ حياته، ولكن باءت كل جهوده بالفشل. في وجه ذاك الامتحان الرهيب جلس علي أكبر كالصخرة ثباتًا وهدوءًا لا يتنازل بشيء عن موقفه. بينما كانت تلك اللحظات الأليمة تتتابع أيقن القهرمان بوضوح مرير أن ما من شيء يمكنه حمل هذا الشاب الذي لا يقهر على الإنكار. عندئذ عاد خائبًا مخذولاً إلى موقع الإعدام وأمر طاقم المدفع بحشوه بالبارود فورًا. مع ذلك راودته فكرة في تلك اللحظة أملاً في زعزعة عزيمة الضحية. فبعث برجاله لإحضار زوجة المحكوم عليه وطفله للحضور إلى عين المكان، وهو

تحد عظيم وفتنة كبرى بلا شك. بعد لحظات وصلت الزوجة المسكينة بحالة فزع وهي تمسك بيد طفلها الذي بدا لطيفًا وسيمًا في أحسن ملابسه.

قابلت زوجها وهي تبكي بمرارة وحرقة متوسلة: 'تعال وارحم هذا الطفل، فما عساي أن أفعل بعدك؟' قالتها وهي تجهش بالبكاء، لكن علي أكبر لم يجبها، بل أدار ظهره لهما. مرة أخرى عادت الزوجة ومعها الطفل ووقفا أمامه. رمت بنفسها عند قدميه ترجو وتتوسل. لكن علي أكبر بقي ساكنًا وأدار ظهره ثانية. عندئذ تقدّم طفله وأمسك بذيل ردائه متوسلاً: 'أبتاه، أبتاه. لماذا تدير ظهرك لي؟ هل لم تعد تحبني؟'

لا شك أن تلك الكلمات البسيطة المؤثرة كان لها وقع أعظم وأشد من أي شيء آخر في قلب علي أكبر. وربما لم يحتملها إذ شوهد يرفع رأسه إلى السماء وكأنه يناشد الحق قائلاً: 'أي رب أتوسل إليك بأن تجنبني مزيدًا من الافتتان.'

بعد ذلك وصلت المأساة ذروتها عندما تأهب الجمهور في جو مشحون بالأسى والقلوب تعصر ألمًا وأسفًا للخاتمة، والدموع تنهمر حتى من عينيّ القهرمان.

أخيرًا زالت كل بارقة أمل لدى القهرمان بإقناع هذا البطل الشهيد بالتخلي عن عقيدته بعد أن أظهر لهم روح التجرد والثبات على الإيمان. فقام متثاقلاً تحت وطأة الخيبة المريرة وقرر إنهاء المشهد المأساوي حالاً بتنفيذ قرار الحاكم.

فأعيد ربط الضحية آنئذ حول فوهة المدفع على مرأى من زوجته الملتاعة وطفله. ولمّا تم ذلك أخليت الساحة المجاورة للموقع من الناس، إلاّ أن الطفل رفض الابتعاد عن أبيه وراح يبكي متوسلاً: 'خذوني قرب أبي، أريد أن أذهب بقربه!'

حانت النهاية المروعة، وتملّك النفوس شعور بالتوتر مصحوب بالهلع والذهول التي عمّت كل الجمهور في الميدان.

بإشارة سريعة من القهرمان أشعل المدفعي فتيل البارود الذي وضع لينسف الضحية ويقذف به إلى السماء، قطعًا متناثرة بلمح البصر. لكن لشدة دهشة الجمهور فلم تنفجر العبوة! أعادوا إشعالها مرة أخرى وأخرى دون أن تنفجر. كادت أنفاس الجمهور تخمد وهم ينظرون بِحيرة وبلادة كأنهم مسحورون.

هرع القهرمان إلى الضحية وخاطبه باسمه قائلاً: 'إننا كما تعلم لا نريد قتلك، والآن يبدو أن الله أيضًا لا يريد ذلك. أفلا ترحم طفلك؟' لكنه لم يتفوه بكلمة، حتى

عندما قدمت إليه زوجته التي كاد الفزع أن يصعقها وطفلها، بقي على هدوئه وعدم اكتراثه السابق.

في أثناء ذلك انصرف المدفعي لإعداد عبوة أخرى بينما توقف القهرمان متأملاً للحظة يحدوه الرجاء والتوقع، فلعل علي أكبر يستسلم الآن، ويدلي بكلمة الإنكار، أو لعل يحدث أمر ينقذ حياته.

لكن فيما يتعلق بعلي أكبر نفسه فإن التنازل أمر لا يخطر بباله ولا يمكن التفكير به... فإن روحه كانت متلهفة للتضحية بالجسد الضعيف حبًا لمولاه والعروج إلى مقر المحبوب. لقد أزف الوقت وحانت الفرصة لذلك... وقد كان في ثباته الفريد الذي تأخر واستطال ذاك النهار عبرة لكي تؤكد الفارق الكبير بين سمو تفكيره ونبله وبين ضآلة ما كان يدور بخلد القهرمان.

فلا بد أن روحه كانت أبعد ما تكون عن الاضطراب والهلع، بل على العكس كانت في غاية الاستبشار والرضى والاستقرار حينما أعطى القهرمان الإشارة مرة أخرى للإطلاق وهو في منتهى القنوط والبلبلة.

وهذه المرة وفي لحظة سريعة تناثر جسد علي أكبر في خضم فرقعة من النار والدخان وارتفع عاليًا في السماء ثم خركشهب صغيرة مصحوبة برذاذ قرمزي وتناثرت أشلاؤه هنا وهناك على أرض الميدان.

أصدر الحاكم أمرًا بترك أشلاء جسده في مكانها حتى غروب الشمس لكي تطأها أقدام البشر والدواب.

جاءت حادثة الاستشهاد تلك كصاعقة لعموم أفراد المؤمنين الأوائل ولا سيما زوجة الشهيد نفسه حيث لم يكن لحزنها حدود وظلت تبكي وتضرب بكفيها على رأسها نائحة متفجعة.

على نقيض ذلك النموذج البطولي كان هناك من كانوا يفرّون بعيدًا عن أتباع حضرة بهاءالله لئلا يوصموا بأنهم من أتباع أمره.

دوّن الحاج محمد طاهر المالميري في مؤلّفه المسهب، "تاريخ الأمر في إقليم يزد"، هذه الرواية المشوقة عن شخص اسمه السيد أبو القاسم بيضاء:

كان آقا سيد أبو القاسم تاجرًا وشاعرًا موهوبًا. أمّا لقبه الأدبي فهو "بيضاء"، وكان مواطنًا محترمًا جدًا يعاشر البارزين من التجار وأشراف المدينة. عرف أيضًا بشدة تمسكه بالإسلام وصدقه واستقامته. وكان حفيد الحاج الملا رضا، قارئ الروضة المشهور (القارئ الممتهن رواية مأساة كربلاء حيث استشهد الإمام الحسين بن علي) والذي كان من سكان محلة "مالمير" مجاورًا لهذا العبد[12] عندما أراد السيد أبو القاسم زيارة جدّه كان طريقه من قبالة دار هذا العبد. ونظرًا لاشتهار دارنا بأنها دار "البابيين"، وخوفًا من تعرّضه وتأثّره بالمفعول "الخبيث" المنبعث من هذه الدار (حسب ما كان يعتقده العوام)، كنا نراه يمر راكضًا بسرعة كبيرة! لكن أخيرًا اعتنق هذا الرجل أمر الله وصار يحضر المجالس في دارنا، وغالبًا ما يستعيد ذكريات طفولته قائلاً: 'كلما مررت بهذه الدار كان يرتجف كل كياني بحيث أشعر بنفسي مضطربًا مهزوزًا طوال ذاك اليوم.'

يروي الحاج ميرزا حيدر علي قصة مماثلة نوعًا ما حينما كان مقيمًا في خان للمسافرين برفقة بعض المؤمنين بإحدى مدن إيران. ويصف كيف أن رجلين طرقا بابه ذات ليلة بدافع الفضول للتعرف على معتقدات البهائيين. بعد ساعات من الحوار آمن أحدهما بأمر الله، كما ترويه القصة التالية:

([12]) الحاج محمد طاهر المالميري.

آمن أحدهما بأمر الله بينما أخذ الآخر، الذي كان مقيما في نفس الخان، "كتاب الإيقان" إلى غرفته ليتعرف على حقيقة أمر الله. حدّثني بقصته شخصيًا بقوله:

'كنت أجلس وأطالع ليلاً لكن سرعان ما تملكني خوف لئلا يدخل عليّ أحد ويكتشف عندي كتابًا للبابيين، وعندها ستكون نهاية حياتي وكل ما ملكت. لذا كنت أعمد لقفل الباب ثم الاستمرار بالقراءة. لكن هواجسي صارت توحي لي مجددًا بالخوف من أن بعض الناس قد يشك في أمري إذا قُفل باب غرفتي مبكرًا في الليل بينما أنتم البابيون[13] ما زلتم في الخان مما قد يؤولونه بأني أقبع في غرفتي لأقرأ كتابًا من كتبكم. بل راحت الهواجس أبعد من ذلك حيث أوّلت عزلتي المبكرة في غرفتي بأن البابيين تركوا كتابهم عندي ثم رحت أنام مبكرًا حتى أستيقظ ليلاً لأطالعه بمزيد من الهدوء والاطمئنان. واختصارًا للقول فإني انتهيت إلى القرار بأخذ الكتاب إلى الإسطبل وتركه هناك. عدت بعدها لغرفتي وجلست **متفكرًا متحيرًا**، لا أدري كيف سأتمكن أخيرًا من قراءة هذا الكتاب...'

عند ذاك قرر تلاوة القرآن الكريم وإقامة الصلاة. ثم استمر قائلاً:

([13]) ظل البهائيون في إيران لمدة طويلة معروفين باسم "البابيين"، ويخلط بعض الناس بين الاثنين حتى الآن.

’توجّهت إلى الله العليم الرحيم بقلب تختلج فيه مشاعر العجز والمسكنة ونكران الذات، سائلاً عونه ليهديني صراط الخلاص ويمنحني سلسبيل الحياة. في لحظة بارقة وعيت على أني كنت بدرجة من الهم والحذر والارتعاد خوفًا لمجرد الإقدام على قراءة هذا الكتاب! تساءلت في نفسي، ترى كم كانت شجاعة كاتبه وقوة قلبه حيث أخرج الكتاب إلى الوجود من قلبه ولسانه وعلمه! نفس ذلك يعتبر معجزة. ثم أية قدرة وقوة نفوذ لديه بحيث عمرت قلوب العديد من النفوس بمثل هذه الشجاعة والاقتدار ومكنتهم من الترحيب بالاستشهاد.‘

يمضي الحاج ميرزا حيدر علي ليصف كيف اعتنق هذا الرجل أمر الله وبلغ من الشجاعة بحيث كان يستغل ما تيسر له من وقت أثناء عمله لاستنساخ "كتاب الإيقان" وتبليغ الناس جهرًا.

إن هذه الأحداث، وما أكثرها شيوعًا في تلك الأيام، تدلل بوضوح على أن من آمن بحضرة الباب وحضرة بهاءالله لم يؤمنوا بالدين كونه جديدًا مثيرًا، ولا طمعًا بمكسب شخصي أو بسبب العاطفة. بل إن هذا الأمر الإلهي قد عُمِّد بنار المحن والبلاء والاستشهاد، ونفوس الأبطال الذين اعتنقوه أقبلوا إليه بعد ما اعترفوا حقًا بعظمته وبهائه فانقلبوا خلقًا جديدًا بديعًا.

يشرح حضرة بهاءالله في أحد ألواحه كيف أن كل ما مر على أحبائه من إنكار العلماء وإعراض الجهلاء واعتراضهم، قد صار كالمصفاة التي منعت النفوس غير اللائقة عن الدخول في أمر الله. في اللوح نفسه يدعو حضرته أتباعه ليعرفوا قدر هذه الأيام التي فيها اختار الله فئة قليلة فقط للإيمان به. ويصرح مبيّنًا أنه في أيام ارتفاع أمر الله وغلبته الظاهرة (في المستقبل)، فإن كثيرين من "النفوس المردودة" (غير اللائقة) سوف يدّعون الإيمان به.

عندما كان حضرة بهاءالله في بغداد بعث شخص من الطائفة الشيخية، اسمه ميرزا محيط الكرماني، رسالة إلى حضرة بهاءالله بواسطة الأمير كيوان ميرزا. وكان ميرزا محيط قد اجتمع بحضرة الباب من قبل واتخذ منه موقفًا معارضًا لكن بالخفاء. والتمس في رسالته ملاقاة خاصة مع حضرة بهاءالله في ساعة متأخرة من إحدى الأمسيات لئلا يطّلع أحد على اجتماعه ذاك سوى الأمير المذكور. كان السبب في مراعاة السرية هذه الحفاظ على مكانة ميرزا محيط في المجتمع المسلم، إذ لو أشيع خبر لقائه بحضرة بهاءالله لدى العموم لتزعزعت سمعته وسقط اعتباره. وقد طلب حضرة بهاءالله من الأمير مشاركة ميرزا محيط ببيتين من قصيدة ألّفها في كردستان، يبيّن فيها الشروط التي يجب أن تتوفر في من يريد لقاء حضرته. ويمكن ترجمة هذين البيتين بما يلي:

’إن أردت أن تتمتع بالحياة الدنيا فلا تقرب لساحتنا وإذا كان مرغوب فؤادك التضحية فاحضر واحضر غيرك معك فهذا هو سبيل الإيمان إن كنت تريد أن تسلك بقلبك مع البهاء وأمّا إذا كنت ترفض أن تتّخذ هذا السبيل فلماذا تتعبنا؟‘

نُقل عن حضرة بهاءالله أنه قال للأمير: ’اذهب إليه فإنه لو أراد لأسرع لمقابلتنا دون قيد ولا شرط وإلاّ فإني لا أريد أن أراه.‘

عندما سمع ميرزا محيط بذلك، لم يجد لديه الشجاعة الكافية للذهاب والاجتماع بحضرة بهاءالله، وبعد بضعة أيام مات.

يتطرّق حضرة بهاءالله في "المثنوي" إلى مواضيع أخرى عديدة ويكشف عدة أسرار لا يستوعبها مجال هذا المجلد. ذلك لأن هذه القصيدة التي تنبض حيوية وتهز الروح عبارة عن مخزن عجيب للحكمة الإلهية، والتي يستحيل استنفادها.

كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢